

مختصر ابن كثير

- 55 - إذ قال اﷻ يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون .
- 56 - فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين .
- 57 - وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم و اﷻ لا يحب الظالمين .
- 58 - ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم .
- اختلف المفسرون في قوله تعالى : { إني متوفيك ورافعك إلي } فقال قتادة : هذا من المقدم والمؤخر تقديره إني رافعك إلي ومتوفيك يعني بعد ذلك . وقال ابن عباس : إني متوفيك أي مميتك وقال وهب بن منبه : توفاه اﷻ ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه قال مطر الوراق : إني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت وكذا قال ابن جرير : توفيه هو رفعه . وقال الأكثرون : المراد بالوفاة ههنا النوم كما قال تعالى : { وهو الذي يتوفاكم بالليل } الآية وقال تعالى : { اﷻ يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها } الآية وكان رسول اﷻ صلى اﷻ عليه وسلّم يقول إذا قام من النوم : " الحمد اﷻ الذي أحيانا بعد ما أماتنا " الحديث . وعن الحسن أنه قال في قوله تعالى : { إني متوفيك } يعني وفاة المنام : رفعه اﷻ في منامه . وقوله تعالى : { ومطهرك من الذين كفروا } أي برفعي إياك إلى السماء { وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة } وهكذا وقع فإن المسيح عليه السلام لما رفعه اﷻ إلى السماء تفرقت أصحابه شيعا بعده فمنهم من آمن بما بعثه اﷻ به على أنه عبد اﷻ ورسوله وابن أمته ومنهم من غلا فيه فجعله ابن اﷻ وآخرون قالوا : هو اﷻ وآخرون قالوا : هو ثالث ثلاثة وقد حكى اﷻ مقالتهم في القرآن ورد على كل فريق فاستمروا على ذلك قريبا من ثلثمائة سنة .
- ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له (قسطنطين) فدخل في دين النصرانية قيل : حيلة ليفسده فإنه كان فيلسوفا وقيل : جهلا منه إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه نقص منه ووضعت له القوانين والأمانة الكبرى التي هي الخيانة الحقيرة وأحل في زمانه لحم الخنزير وصلوا له إلى المشرق وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع وزاد في صياهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون وصار دين المسيح (دين قسطنطين) إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثنتي عشر ألف معبد وبنى المدينة المنسوبة إليه واتبعه طائفة الملكية منهم وهم في هذا كله قاهرون لليهود أيده

اﻟﻌﺒﺎﺩ ﻋﻠﯿﻬﻢ ﻻﻧﻪ ﺃﻗﺮﺏ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺤﻖ ﻣﻨﻬﻢ ﻭﺇﻥ ﻛﺎﻥ ﺍﻟﺠﻤﯿﻊ ﻛﻔﺎﺭﺍ ﻋﻠﯿﻬﻢ ﻟﻌﺎﺗﻦ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻓﻠﻤﺎ ﺑﻌﺚ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻣﺤﻤﺪﺍ ﻓﻜﺎﻥ ﻣﻦ ﺃﻣﻦ ﺑﻪ ﻳﺆﻣﻦ ﺑﺎﻟﻌﺒﺎﺩ ﻭﻣﻼﺋﻜﺘﻪ ﻭﻛﺘﺒﻪ ﻭﺭﺳﻠﻪ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻮﺟﻪ ﺍﻟﺤﻖ ﻓﻜﺎﻧﻮﺍ ﻫﻢ ﺃﺗﺒﺎﻊ ﻛﻞ ﻧﺒﻲ ﻋﻠﻰ ﻭﺟﻪ ﺍﻟﺄﺭﺿﻲ ﺇﺫ ﻗﺪ ﺻﺪﻗﻮﺍ ﺍﻟﻨﺒﻲ ﺍﻟﺄﻣﻲ ﺍﻟﻌﺮﺑﻲ ﺧﺎﺗﻢ ﺍﻟﺮﺳﻞ ﻭﺳﻴﺪ ﻭﻟﺪ ﺃﺩﻡ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺒﺮ ﺍﻟﺬﻯ ﺩﻋﺎﻫﻢ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺘﺼﺪﻳﻖ ﺑﺠﻤﯿﻊ ﺍﻟﺤﻖ ﻓﻜﺎﻧﻮﺍ ﺃﻭﻟﻰ ﺑﻜﻞ ﻧﺒﻲ ﻣﻦ ﺃﻣﺘﻪ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻳﺰﻋﻤﻮﻥ ﺃﻧﻬﻢ ﻋﻠﻰ ﻣﻠﺘﻪ ﻭﻃﺮﻳﻘﺘﻪ ﻣﻤﺎ ﻗﺪ ﺣﺮﻓﻮﺍ ﻭﺑﺪﻟﻮﺍ ﺗﻢ ﻟﻮ ﻟﻢ ﻳﻜﻦ ﺷﻴﺌﻲ ﻣﻦ ﺫﻟﻚ ﻟﻜﺎﻥ ﻗﺪ ﻧﺴﺦ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﺷﺮﻳﻌﺔ ﺟﻤﯿﻊ ﺍﻟﺮﺳﻞ ﺑﻤﺎ ﺑﻌﺚ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﺑﻪ ﻣﺤﻤﺪﺍ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻣﻦ ﺍﻟﺪﻳﻦ ﺍﻟﺤﻖ ﺍﻟﺬﻯ ﻻ ﻳﻐﻴﺮ ﻭﻻ ﻳﺒﺪﻝ ﺇﻟﻰ ﻗﻴﺎﻡ ﺍﻟﺴﺎﻋﺔ ﻭﻻ ﻳﺰﺍﻝ ﻗﺎﺋﻤﺎ ﻣﻨﺼﻮﺭﺍ ﻇﺎﻫﺮﺍ ﻋﻠﻰ ﻛﻞ ﺩﻳﻦ ﻓﻠﻬﺬﺍ ﻓﺘﺢ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻟﺄﺻﺤﺎﺑﻪ ﻣﺸﺎﺭﻕ ﺍﻟﺄﺭﺿﻲ ﻭﻣﻐﺎﺭﺑﻬﺎ ﻭﺍﺣﺘﺎﺯﻭﺍ ﺟﻤﯿﻊ ﺍﻟﻤﻤﺎﻟﻚ ﻭﺩﺍﻧﺖ ﻟﻬﻢ ﺟﻤﯿﻊ ﺍﻟﺪﻭﻝ ﻭﻛﺴﺮﻭﺍ ﻭﻛﺴﺮﻭﺍ ﻭﻗﺴﺮﻭﺍ ﻓﻴﺼﺮ ﻭﺳﻠﺒﻮﻫﻤﺎ ﻛﻨﻮﺯﻫﻤﺎ ﻭﺃﻧﻔﻘﺖ ﻓﻲ ﺳﺒﻴﻞ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻛﻤﺎ ﺃﺧﺒﺮﻫﻢ ﺑﺫﻟﻚ ﻧﺒﻴﻬﻢ ﻋﻦ ﺭﺑﻬﻢ ﺩ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ : { ﻭﻋﺪ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺃﻣﻨﻮﺍ ﻣﻨﻜﻢ ﻭﻋﻤﻠﻮﺍ ﺍﻟﺼﺎﻟﺤﺎﺕ ﻟﻴﺴﺘﺨﻠﻔﻬﻢ ﻓﻲ ﺍﻟﺄﺭﺿﻲ ﻛﻤﺎ ﺍﺳﺘﺨﻠﻒ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻣﻦ ﻗﺒﻠﻬﻢ ﻭﻟﻴﻤﻜﻨﻦ ﻟﻬﻢ ﺩﻳﻨﻬﻢ ﺍﻟﺬﻯ ﺍﺭﺗﻀﻰ ﻟﻬﻢ ﻭﻟﻴﺒﺪﻟﻨﻬﻢ ﻣﻦ ﺑﻌﺪ ﺧﻮﻓﻬﻢ ﺃﻣﻨﺎ ﻳﻌﺒﺪﻭﻧﻨﻲ ﻻ ﻳﺸﺮﻛﻮﻥ ﺑﻲ ﺷﻴﺌﺎ } ﺍﻻﻳﺔ . ﻓﻠﻬﺬﺍ ﻟﻤﺎ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻫﻢ ﺍﻟﻤﺆﻣﻨﻴﻦ ﺑﺎﻟﻤﺴﻴﺢ ﺣﻘﺎ ﺳﻠﺒﻮﺍ ﺍﻟﻨﺼﺎﺭﻯ ﺑﻼﺩ ﺍﻟﺸﺎﻡ ﻭﺍﻟﺠﻮﻭﻫﻢ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺮﻭﻡ ﻓﻠﺠﺄﻭﺍ ﺇﻟﻰ ﻣﺪﻳﻨﺘﻬﻢ ﺍﻟﻘﺴﻄﻨﻨﻴﻨﻴﺔ ﻭﻻ ﻳﺰﺍﻝ ﺍﻟﺒﺴﻤﺎ ﻭﺍﻫﻠﻪ ﻓﻮﻗﻬﻢ ﺇﻟﻰ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﻘﻴﺎﻣﺔ .

ﻭﻗﺪ ﺃﺧﺒﺮ ﺍﻟﺼﺎﺩﻕ ﺍﻟﻤﺼﺪﻭﻕ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﺃﻧﻪ ﺑﺎﻥ ﺃﺧﺮﻫﻢ ﺳﻴﻔﺘﺤﻮﻥ ﺍﻟﻘﺴﻄﻨﻨﻴﻨﻴﺔ ﻭﻳﺴﺘﻔﻴﺌﻮﻥ ﻣﺎ ﻓﻴﻬﺎ ﻣﻦ ﺍﻟﺄﻣﻮﺍﻝ ﻭﻳﻘﺘﻠﻮﻥ ﺍﻟﺮﻭﻡ ﻣﻘﺘﻠﺔ ﻋﻈﻴﻤﺔ ﺟﺪﺍ ﻟﻢ ﻳﺮ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻣﺜﻠﻬﺎ ﻭﻻ ﻳﺮﻭﻥ ﺑﻌﺪﻫﺎ ﻧﻈﻴﺮﻫﺎ ﻭﻗﺪ ﺟﻤﻌﺖ ﻓﻲ ﻫﺬﺍ ﺟﺰﺀﺍ ﻣﻔﺮﺩﺍ ﻭﻟﻬﺬﺍ ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﻭﺟﺎﻋﻞ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺍﺗﺒﻌﻮﻙ ﻓﻮﻕ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻛﻔﺮﻭﺍ ﺇﻟﻰ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﻘﻴﺎﻣﺔ ﺗﻢ ﺇﻟﻰ ﻣﺮﺟﻌﻜﻢ ﻓﺄﺣﻜﻢ ﺑﻴﻨﻜﻢ ﻓﻴﻤﺎ ﻛﻨﺘﻢ ﻓﻴﻪ ﺗﺨﺘﻠﻔﻮﻥ ... ﻓﺄﻣﺎ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻛﻔﺮﻭﺍ ﻓﺄﻋﺬﺑﻬﻢ ﻋﺬﺍﺑﺎ ﺷﺪﻳﺪﺍ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﻭﺍﻻﺧﺮﺓ ﻭﻣﺎ ﻟﻬﻢ ﻣﻦ ﻧﺎﺻﺮﻳﻦ } ﻭﻛﺬﻟﻚ ﻓﻌﻞ ﺑﻤﻦ ﻛﻔﺮ ﺑﺎﻟﻤﺴﻴﺢ ﻣﻦ ﺍﻟﻴﻬﻮﺩ ﺃﻭ ﻏﻼ ﻓﻴﻪ ﺃﻭ ﺃﻃﺮﺍﻩ ﻣﻦ ﺍﻟﻨﺼﺎﺭﻯ ﻋﺬﺑﻬﻢ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﺑﺎﻟﻘﺘﻞ ﻭﺍﻟﺴﺒﻲ ﻭﺍﺧﺬ ﺍﻟﺄﻣﻮﺍﻝ ﻭﺍﺯﺍﻟﺔ ﺍﻟﺄﻳﺪﻯ ﻋﻦ ﺍﻟﻤﻤﺎﻟﻚ ﻭﻓﻲ ﺍﻟﺪﺍﺭ ﺍﻻﺧﺮﺓ ﻋﺬﺑﻬﻢ ﺃﺷﺪ ﻭﺃﺷﻖ { ﻭﻣﺎ ﻟﻬﻢ ﻣﻦ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻣﻦ ﻭﺍﻕ } { ﻭﺃﻣﺎ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺃﻣﻨﻮﺍ ﻭﻋﻤﻠﻮﺍ ﺍﻟﺼﺎﻟﺤﺎﺕ ﻓﻴﻮﻓﻴﻬﻢ ﺃﺟﻮﺭﻫﻢ } ﺃﻱ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﻭﺍﻻﺧﺮﺓ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﺑﺎﻟﻨﺼﺮ ﻭﺍﻟﻄﻔﺮ ﻭﻓﻲ ﺍﻻﺧﺮﺓ ﺑﺎﻟﺠﻨﺎﺕ ﺍﻟﻌﺎﻟﻴﺎﺕ { ﻭﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻻ ﻳﺤﺐ ﺍﻟﻈﺎﻟﻤﻴﻦ } . ﺗﻢ ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﺫﻟﻚ ﻧﺘﻠﻮﻩ ﻋﻠﻴﻚ ﻣﻦ ﺍﻻﻳﺎﺕ ﻭﺍﻟﺬﻛﺮ ﺍﻟﺤﻜﻴﻢ } ﺃﻱ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺬﻯ ﻗﺼﻨﺎ ﻋﻠﻴﻚ ﻳﺎ ﻣﺤﻤﺪ ﻓﻲ ﺃﻣﺮ ﻋﻴﺴﻰ ﻭﻣﺒﺪﺃ ﻣﻴﻼﺩﻩ ﻭﻛﻴﻔﻴﺔ ﺃﻣﺮﻩ ﻫﻮ ﻣﻤﺎ ﻗﺎﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺃﻭﺣﺎﻩ ﺇﻟﻴﻚ ﻭﻧﺰﻟﻪ ﻋﻠﻴﻚ ﻣﻦ ﺍﻟﻠﻮﺡ ﺍﻟﻤﺤﻔﻮﻅ ﻓﻼ ﻣﺮﻳﺔ ﻓﻴﻪ ﻭﻻ ﺷﻚ ﻛﻤﺎ ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻓﻲ ﺳﻮﺭﺓ ﻣﺮﻳﻢ : { ﺫﻟﻚ ﻋﻴﺴﻰ ﺑﻦ ﻣﺮﻳﻢ ﻗﻮﻝ ﺍﻟﺤﻖ ﺍﻟﺬﻯ ﻓﻴﻪ ﻳﻤﺘﺮﻭﻥ ... ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﺃﻥ ﻳﺘﺨﺬ ﻣﻦ ﻭﻟﺪ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺇﺫﺍ ﻗﺼﻰ ﺃﻣﺮﺍ ﻓﺈﻧﻤﺎ ﻳﻘﻮﻝ ﻟﻪ ﻛﻦ ﻓﻴﻜﻮﻥ } ﻭﻫﻬﻨﺎ ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ :